﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٤٨﴾ [التّوبة: 48]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا تقدَّمَ الآيةَ الكريمة تسليتُهُ ﷺ، بقوله تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا﴾ [التّوبة: 47] في أمرٍ لم يكن واقعًا؛ عقَّب بأمر واقعٍ شاهدٍ؛ ش لأنَّ التَّسليةَ بالواقع أقوى منها بالمقدرة، فهي تقريرٌ لما قُرِّرَ وقُوعُهُ[1]، فَذكرَ في هذه الآيةِ نوعًا آخرَ من مَكْرِ المنافقين وخُبْثِ باطنهم[2]، وهي أيضًا تعليلٌ لقوله: ﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [التّوبة: 47]؛ لأنَّها دليلٌ بأنَّ ابتغاءهم الفِتْنَةَ للمسلمين ديدنٌ لهم من قَبْلُ وعادة[3].

المناسبةُ بين تقاعُسِ المنافقين وفتنتِهمُ المتأصِّلةِ، حتّى جاء الحقُّ والنّصرُ على كُرْهٍ منهم

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱبۡتَغَوُاْ﴾: بَغَيْتُ الشَّيءَ أَبغيه بُغاءً، وابتغيته: طلبتُه[4]، فأصلُ الابتغاءِ الدَّلالةُ على طلب الشَّيء، وكذلك صيغة (بَغَى) الَّتي ليست لمعنى التَّجاوز. "بَغَى الضَّالَّةَ والحاجة، وكذلك ابتغى الشَّيء، وتبغَّاه واستبْغاه، والبُغْية – بالكسر والضَّم –: الحاجة المَبْغِيَّة"[5].

وقد خُصَّ الابتغاءُ بالاجتهاد في الطَّلب، فمتى كان الطَّلب لشيء محمودٍ، فالابتغاء فيه محمودٌ[6]، ومتى كان لمذمومٍ كما في (ابتغاء الفِتْنة) هنا؛ فهو مذمومٌ.

2) ﴿وَقَلَّبُواْ﴾: القلبُ: باطنُ الشَّيء ولُبُّه، وقَلْبُ الأرض إخراجُ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/311.
(2) الفخر الرَّازي، مفاتيح الغيب: 16/65.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/219.
(4) الخليل، العين: (بغي).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤَصّل: (بغى).
(6) الرّاغب، المفردات: (بغي).

لباطنها، ومنه الدَّلالة "على ردِّ شيء من جهة إلى جهة"[1]. فقَلْبُ الشَّيء: تصريفُهُ وصرْفُهُ عن وجه إلى وجه، كقلْبِ الثَّوب، وقلب الإنسان، أي: صرفُه عن طريقتهِ، وسمِّي القلبُ قلبًا لكثرة تقلُّبه[2]، وتقليب الأمر في الآية: تصريفُه وترديدُه لأجل التَّدبُّرِ والتَّأمُّلِ فيه[3]، والاجتهادِ في المكر والحيلة، يُقالُ للرَّجل المتصرِّف في وجوه الحِيَل: حُوَّلٌ، وقُلَّبٌ أي: اجتهدوا، ودبَّروا لك الحِيلَ، والمكايدَ، ودوَّروا الآراءَ في إبطال أمرك[4].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

تسليةُ النَّبيِّ ﷺ عن تخلُّف المنافقين، وسعْيِهم إلى الفِتْنةِ باطّرادٍ

الآيةُ تحريضٌ للنَّبيِّ ﷺ على المنافقين بأنَّهم أعملوا فكرَهم، وأجالوا آراءَهم في كيدك وكيد أصحابِك وخذلان دينك، وذلك في أوَّلِ مَقْدَم النَّبيِّ ﷺ المدينة رُميَ عن قوس واحدةٍ، وحاربتْهُ يهود المدينة ومنافقوها، فلمَّا نصرَهُ الله يوم بدر وأعلى كلمته، قال عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه: هذا أمر قد تَوَجَّه، فدخلوا في الإسلام ظاهرًا، ثم كلَّما أعزَّ الله الإسلام وأهله؛ غاظَهم ذلك، وساءهم[5].

وهي أيضًا تسليةٌ "للرَّسول ﷺ والمؤمنين عن تخلُّف المتخلِّفين، وبيانُ ما ثبَّطهم الله تعالى لأجله، وهتَك أستارَهم، وكشَفَ أسرارَهم، وإزاحةِ أعذارِهم تداركًا لما عسى يفوت بالمبادرة إلى الإذن، وإيذانًا بأنَّ ما فات بها ليس ممَّا لا يمكن تلافيه تهوينًا للخَطب"[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (قلب).
(2) الرّاغب، المفردات: (قلب).
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/65.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/72.
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/161.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/72.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ اللَّام في قولِه: ﴿لَقَدِ﴾:

قد يُستغنى بجواب القَسَم عن القَسَم، فيكونُ الجوابُ دليلًا على القَسَم المحذوفِ، وتدلُّ عليه اللَّامُ الواقعةُ في جواب القَسَم المصدَّرِ بفعل ماضٍ غير جامد، فيكون الجواب باللَّام مع (قد) مُفيدًا توكيدَ التَّقرير والإثبات، وتحقيق معنى الجملة، وإزالة الشَّكِّ؛ والموطن هنا فيه ردٌّ وإنكارٌ على طلبهم الشَّديد لإشاعة الفِتْنة بين المسلمين.

التَّوطِئةُ للقسَم والتَّأكيدِ، تجليةٌ لبيانِ الآيةِ الكريمةِ

سِرُّ الافتتاحِ بحرف التّحقيقِ (قد):

لا ينفكُّ التّحقيقُ عن (قد)، إذا دخلتْ على الفعل الماضي، ومعنى التَّحقيق ههنا: أنَّ ابتغاءَهم الفِتْنةَ واقعٌ، وثابتٌ، ومتيقَّنٌ، ومتحقَّقٌ لا محالةَ، ذلك أنَّهم مارسوه فعلًا من قبلُ، ورسخ فيهم صنيعًا.

طلبُهم الفِتْنةَ واقعٌ متحقَّقٌ، رسخَ في عقيدتِهم وأفعالِهم

سِرُّ إيثارِ ﴿ٱبۡتَغَوۡاْ﴾ دونَ غيرِه:

الابتغاءُ: طلبُ تجاوزِ الاقتصاد فيما يُتحرَّى، يُقال: بغَيْتُ الشَّيءَ؛ إذا طلبتُ أكثرَ ما يجبُ، والابتغاءُ مذمومٌ إذا تجاوز الحقَّ إلى الباطل؛ كما في طلب المنافقين الشَّديدِ للفتنة، والسَّعْيِ الحثيثِ إليها، والإصرار القويِّ عليها.

تجاوزُهم في فتنتِهمُ الحدَّ، طيشٌ وجهلٌ بالعواقبِ

نُكتة عودِ الضَّمير في ﴿ٱبۡتَغَوۡاْ﴾، وأثرُه في المعنى:

الضَّميرُ يعود إلى الَّذين استأذنوا من النَّبيِّ ﷺ، وثبَّطوا المؤمنين، وهم المنافقون[1]، والتَّعبيرُ عنهم بالإضمار بدلَ التَّصريح تقليلٌ لشأنهم، وحطٌّ من قدْرِهم.

التَّكنيةُ عنهم حطٌّ لقدْرِهم، وازدراءٌ لحالهم التّعيسِ

نُكتةُ استعمالِ ﴿يَبۡغُونَكُمُ﴾ و﴿ٱبۡتَغَوۡاْ﴾:

قال قبل هذه الآية: ﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾، وقال هنا: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾، فعبَّر أوَّلًا بالأصلِ، وهنا بالمطاوع، والسِّرُّ في ذلك أنَّ

البيانُ بعد الإجمالِ، توخٍّ للمشابهةِ، وإبرازٌ للدَّلالةِ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3323.

(ابتغى) أخصُّ من (بغى)؛ فعبَّر بالإبغاء في الأولى، وبالأخصِّ في الثَّاني ليكون بيانًا عَقِيبَ إجمالٍ[1].

دَلالةُ لفظ ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾:

فتنتُهم تخذيلٌ وصَدٌّ، وردٌّ إلى الكُفرِ والنُّكران

ذهبَ القونويُّ إلى أنَّ المرادَ بالفِتْنة في هذه الآية دون ما ذُكرَ فيما سبق، موضِّحًا تفسيرَ البيضاويِّ للفتنة بـ(تشتيت أمرك، وتفريق أصحابك)، أي: طلبوا صدَّ أصحابِك عن الدِّين وردِّهم إلى الكفر، وتخذيل النَّاس عنك قبل هذا اليوم[2].

وَجهُ إفرادِ ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ وجمعِ ﴿ٱلْأُمُورَ﴾:

أسبابُ الفِتْنةِ عند المنافقين متعدِّدةٌ، تتجدّدُ بتجدُّدِ مآربِهم الخَسيسةِ

الأصلُ إفرادُ الأمور وجمعُ الفِتْنة؛ لأنَّ الفِتْنةَ مصدرٌ محدودٌ بالتَّاء الدّالّة على الواحدة، والأمرُ جنس فيه، ويدلُّ على القليل والكثير، لكنَّه عكس؛ لأنَّ الأمرَ أسبابٌ للفتنة، والفِتْنة غَيْرٌ عنها[3]. واختلاق الأسباب متعدِّدٌ لديهم، متنوِّعةٌ وجوهُه.

بَلاغةُ الإيجازِ:

تأريخُ المنافقين مُخزٍ شنيعٌ، منذُ انبثاقِ الدَّعوةِ النَّبويّةِ، في المدينةِ المرضيّةِ

المرادُ بقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، أي: من قبْلِ غزوةِ تبوكَ الّتي كانت آخرَ غزوة غزاها رسول الله ﷺ، أي: إنَّ ما صدر عن هؤلاء المنافقين من مسالكَ خبيثةٍ خلال هذه الغزوة ليس هو الأوَّل من نوعه؛ إذ لهم في هذا المضمار تاريخٌ مُظلم مُخزٍ، بدأ منذ أوائل عهدِ الدَّعوة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة[4].

دَلالةُ الواو العاطفةِ، في: ﴿وَقَلَّبُواْ﴾:

العطفُ على ما قبلَها، لتأكيدِ إصرارِهم على الفِتْنةِ، وتشبُّثِهم بها

الواو لمُطلَق الجمعِ، وتقتضي ههنا تحقيقَ فعل ابتغاءِ الفِتْنة المتقدِّم، وتأكيدَ إصرارِهم على إيقاعها بين المسلمين، وفيه مزيدُ التَّقرير لسوء صنيعِهم.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/312.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 3/83، والقونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 9/244.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/312.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 6/311.

تَوجيهُ التَّشديدِ في لفظة ﴿وَقَلَّبُواْ﴾:

وقولُه تعالى: ﴿وَقَلَّبُواْ﴾ بتشديد اللَّام، مضاعفُ (قلب) المخفَّفِ، والمضاعفةُ للدَّلالة على قوَّة الفعل، وإصرارهم عليه، ومبالغتهم فيه وتمعُّنهم في القيام به[1]. وتقليبُ الأمر: تصريفُه، وترديدُه، وإجالةُ الرَّأي فيه، والنَّظرُ إليه من كلِّ نواحيه: لمعرفة أيِّ ناحيةٍ منه توصلُ إلى الهدف المنشود، ليكون فعلُهم بيانًا لتفنُّنهم في وجوه الأذى للنَّبيِّ ﷺ[2]. ومماألأة الكافرين، ومعاونتهم على مبتغاهم.

تفنُّنهم في إبداء وُجوهِ الأذَى، دليلٌ على كُفرهم وسَفهِهم

دلالة وجه المبالغةِ:

يجوز في ﴿وَقَلَّبُواْ﴾ أنْ يكونَ حقيقةً من قلَّبَ الشَّيء؛ إذا تأمَّل باطنَهُ وظاهرَه ليطَّلِع على دقائق صفاتِه، فتكونُ المبالغةُ راجعةً إلى الكمِّ، أي: كثرة التَّقليب، أي: تردَّدوا آراءهم، وأعْمَلوا المكائد والحيل للإضرار بالنَّبيِّ ﷺ والمسلمين، ويجوز أن يكونَ ﴿وَقَلَّبُواْ﴾ مبالغةً في قلب الأمر؛ إذا أخفى ما كان ظاهرًا منه، وأبدى ما كان خفيًّا، كقولهم: قلبَ له ظهرَ المِجَنِّ[3].

الدِّلالةُ على مبالغتِهم في تقليب الأمورِ، كمًّا أو شكلًا

بَلاغةُ الاستعارة أوِ المجاز:

ويجوزُ أن يكون ﴿وَقَلَّبُواْ﴾ من (قلَّبَ) بمعنى: فتَّش وبحث، استُعيرَ التَّقليبُ للبحث والتَّفتيش؛ لمشابهة التَّفتيش للتَّقليب في الإحاطة بحال الشَّيء، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [الكهف: 42]، فيكون المعنى: أنهم بحثوا وتجسَّسوا للاطِّلاع على شأن المسلمين وإخبار العدوِّ به[4]، ويحتمل قوله: ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾، أي: المكايد، وتقليبها مجازٌ عن تدبيرها، أو الآراء وهو مجازٌ

التَّفتيشُ يُشابِهُ التَّقليبَ، في الإحاطةِ والتّنقيبِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/219.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 6/311.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/219.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/219.

عن تفتيشها، وإجالتها، أي: دبَّروا لك المكايدَ والحيل، أو دوَّروا الآراء في إبطال أمرك[1].

تَوجيهُ قراءةِ ﴿وَقَلَّبُواْ﴾ بتخفيف اللَّام:

الدّلالةُ على واقع المنافقين من تغيير الحقائقِ قولًا وفِعْلًا

قرأَ مَسْلمةُ بن مُحارب ﴿وَقَلَّبُواْ﴾ بتخفيف اللَّام[2]، أي: أداروا الأمور؛ ليصيرَ ظاهرُها باطنًا، وباطنُها ظاهرًا.والتَّعبيرُ بصيغة (فعَل) في هذه القراءة يشير إلى مآل تدبيرِهم ومكرهم وما تآمروا عليه، فكم من مرَّةٍ تسبَّبوا في إيذاء الرَّسول ﷺ والمسلمين، قولًا وفعلًا! كخذلانهم يوم الأحزاب، وتآمرهم مع اليهود ضدَّهم.

فكأنَّ القراءةَ المتواترة تقصُّ حالَ المنافقين، حين تآمرهم وكيدهم ومكرهم، وسعيهم ضدَّ المسلمين، والقراءة الأخرى تشير إلى ما انتهى إليه تآمرُهم من نكثِ العهد معهم، وخذلانهم.

دَلالةُ اللَّامِ في: ﴿لَكَ﴾:

التَّعليلُ لبيان تعمُّدِهم الإضرارَ بالنَّبيِّ ﷺ والمؤمنين

اللَّام في قوله: ﴿لَكَ﴾ على وجهَي الحقيقَةِ، في قلَّبوا، والاستعارة والمجاز لام العلَّة، أي: لأجلك، وهو مجملٌ يبيِّنُه قوله: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾، فالمعنى: اتَّبعوا فتنةً تظهر منك، أي: في أحوالك، وفي أحوال المسلمين[3].

دَلالةُ التّعريفِ:

الجمعُ والعمومُ تلميحٌ بالذَّمِّ، وكشفٌ لما يَنفثونَه من سُمٍّ

﴿ٱلْأُمُورَ﴾ جمع أمْرٍ، وهو اسمٌ مُبْهَمٌ مثلُ (شيء)، والألف واللام فيه للجنس، أي: أمورًا تعرفون بعضَها، ولا تعرفون بعضَها الآخر[4]. والجمع تلميحٌ بالذَّمِّ؛ بما يُشير إليه من تكرار المحاولات، وكثرة اختلاقِ المكايد، والدَّسائس، والحِيَل.

---

(1) الشّهاب، عناية القاضي: 4/331، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/304، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 5/430.

(2) هي قراءة شاذّة، ينظر: ابن خالويه، المختصر، ص: 53، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/42، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/50.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/219.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/220.

وَجْهُ التَّعبيرِ بـ﴿حَتَّىٰ﴾ دونَ (إلى):

الدَّلالةُ على اعتيادِهم الفِتْنةَ وتقليبَ الأمورِ، وتماديهم في ذلك المِضمارِ

وجاءت ﴿حَتَّىٰ﴾ هُنا على قَاعِدتها في كَوْن ما بعْدَها وقَع عليه الحُكمُ الّذي وقَع على ما قبلَها، وفي كَون ما بعْدَها آخرًا لما قبلها، وأقلَّ منه في الكمِّيَّة[1]، معنى ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا أنَّ تقليبهم الأمور وتآمرهم ومكرهم لم ينتهِ برغبتهم، لولا مجيءُ الحقِّ وظهورُ أمر الله؛ لاستمرُّوا في ذلك؛ لأنَّ مخزون الغلِّ والحقد في قلوبهم جدٌّ كبير.

ولم تكن (إلى)؛ لأنَّها لانتهاء الغاية، إشارةً إلى تعوُّد ذواتهم على ذلك عند ظهوره، وأنَّهم لم يرتدعوا حتى ظهرَ أمرُ الله[2]، وفي هذا ترسيخٌ للذَّمِّ، والتَّحقير البادي من سوء صنيعهم.

وتحتمل (حتى) أن تكونَ حرفَ ابتداءٍ، تُستأنف بعده الجملة كما في هذه الآية[3].

عِلَّةُ التَّعبيرِ عن مجيءِ الحقِّ، وظهورِ أمرِ الله بـ﴿جَآءَ﴾:

مجيءُ الحقِّ، وظهورُ أمرِ الله، واقعٌ لا محالةَ

يدلُّ التَّعبيرُ بالماضي على وقوع الفعل، وحتميَّةِ تحقُّقه، فدلَّ مجيءُ الحقِّ وظهورُ أمر الله تعالى على حصولهما واستقرارهما، وناسب التَّلميحَ بزوال ضعف المسلمين وانكشاف أمر المنافقين[4].

نُكتةُ التَّعبيرِ بفعل المجيء ﴿جَآءَ﴾، دون (أتى):

يُعبَّرُ بالمجيء اعتبارًا بالحُصولِ، وقد تحقَّقَ مجيءُ الحقّ بالظّهورِ والانتصارِ

ذكر أبو حيَّانَ أنَّ لفظة ﴿جَآءَ﴾ مشعِرةٌ بأنَّ الأمرَ كان قد ذهب[5]، وذلك يوحي بشدَّةِ سعيهم إلى معاداة دين الله، وقوَّةِ محاولاتهم إفشالَ الرِّسالة - خابوا وخسئوا - ولذلك عبَّرَ بفعل المجيء ماضيًا؛ لكونهِ أعمَّ من الإتيان، فهو قد يُقال باعتبار القصدِ، وإن لم يكن منه

(1) ابن فرحون، العُدّة: 2/459.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/312.
(3) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/354.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/220.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/52.

الحصولُ، والمجيءُ يُقال اعتبارًا بالحصول[1]، وهو ما ترسَّخَ بصيغة الماضي الدَّالِّ على تحقُّق مجيئه، ووقوعه.

إيثارُ لفظِ ﴿وَظَهَرَ﴾:

دينُ اللهِ غالبٌ على الدِّين كلِّه، وعنايةُ الله تَقيه منَ الاضْمِحلالِ

ووُصِفَ أمرُ الله بالظُّهور؛ لأنَّه كان كالمستور، أي: غلب وعلا دينُ الله[2]، ويُستعملُ لفظ الظُّهور في كلِّ بارزٍ مُبْصَرٍ بالبَصَرِ والبصيرة، وعلى كل كثيرٍ شائعٍ غالب[3]. وذلك حقيقٌ بوصف دين الله تعالى تجليًّا، وانكشافًا، وشيوعًا، وعلوًّا، وتمكُّنًا في الأرض.

سِرُّ تعريفِ الأمرِ بالإضافة إلى اسمِ الجلالة:

دينُ اللهِ عالٍ شأنُه، بسببِ نِسبتِه إلى جنابِ المولَى العليِّ

المرادُ بظهور أمرِ الله نصرُ المسلمين، وغلبتُهم بفتح مكَّةَ ودخولِ النَّاس في الدِّين أفواجًا، وذلك يكرهُه المنافقون[4]. وإضافتُه إلى اسم الله الأعظم تشريفٌ لهذا الدِّين، وإعلاءٌ لشأنه، وإيذانٌ بانتشاره، وظهوره على الدِّين كلِّهِ، ولو كره المشركون، ودبَّروا الحيلَ والمكائد.

دَلالةُ (الواو) على الحال:

كُرْهُ المنافقين للحقِّ ولِدِين اللهِ، هو حالُهمُ الثّابتُ، ودَيْدنُهم الرّاسخُ

قوله: ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾، (الواو) حاليَّةٌ، وهي تدلُّ على الاجتماع؛ إذ كان حُكمُ الحال أنْ تكون مصاحبةً لذي الحال، فهي مجتلبةٌ لضمِّ جملةٍ إلى جملةٍ، وتفيد أنَّ اتِّصاف الحالِ بالموصوف أمرٌ ثابتٌ؛ فالكُرهُ للحقِّ ولأمرِ الله، حالتُهم المستقرَّة قبلًا، وأنَّ تلكَ الحال المستمرَّة الدَّائمة من الكُرْه هي سببُ سعيهم إلى الإرجاف، والنِّفاق، والفِتْنة، فضْلًا عن دلالة جملة الفاصلة الاسميَّة على مجيء الحقِّ، وأمر اللهِ، وهم في حالٍ كارهون فيها هذا الأمرَ.

(1) الرّاغب، المفردات: (جاء).
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/52.
(3) الرّاغب، المفردات: (ظهر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنّوير: 10/220.

سِرُّ صَوْغِ جملةِ الفاصلةِ اسميَّةً لا فعليّةً:

قولُه تعالى: ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ جملةٌ اسميَّةٌ دالَّةٌ على الثُّبوت؛ والتَّعبيرُ عنها بصيغة الجملةِ الاسميَّةِ للدَّلالة على تمكُّن كرههم، أي: كرهًا لا محبَّةً بعده؛ ذلك أنَّهم لمّا تكرَّر منهم الكُرهُ بما أظهروهُ من تجدُّد فتنتِهم؛ صارَ كالوصف الثَّابت فيهم، وجعل كالحال المستمرَّة الملازمة لهم؛ فهم قومٌ عادتهم الكرهُ، وديدنهم البغضُ.

تمكُّنهم في الكُره، حتّى وصلوا مبلغًا لا يعرفون الحُبَّ من بعدِهِ

والمراد بيانُ كمال وصفهم بالكُره لِمَا أنزل الله تعالى، وسعيهم إلى خلق الفِتْنة بين المسلمين.

نُكتةُ التَّعبيرِ عن كُرْههم، بصيغة اسمِ الفاعلِ:

رسَّخ وصفُ ﴿كَٰرِهُونَ﴾ المُصاغ باسم الفاعل ديمومةَ صفةِ الكراهية وثباتِها فيهم، وأنَّ أمرَ الكُره بمنزلة الحاصلِ الثابتِ المستقرِّ، وأنَّ حالَ هؤلاء النَّاس حالُ إعراضٍ دائمٍ عن الحقِّ، فليس كرهُهُم لمجيء الحقِّ، وظهور دين الله أمرًا عارضًا لحالٍ وقتيَّة اقتضته، بل الكُرهُ صفةٌ مستمرَّةٌ لهم لا تنفصلُ دائمًا عن تفكيرهم.

مآلُ الإعراضِ الدَّائمِ عنِ الحقِّ، التّلبُّسُ بالكُرهِ له، والأيلولةِ إلى الهلاك

بَلاغةُ حذْفِ متعلَّقِ الكُرهِ:

يحتمل الاستغناءُ بالمذكور، وحذْفُ ما يكرهونه فضلًا عن المذكور من ظهور الحقِّ وأمر الله؛ إعمامَ كرههم ليتعدَّاهما إلى بغضِهم كلَّ شأنٍ يخصُّ المسلمين.

عمومُ كُرْههم كلَّ شأنٍ للمسلمين، دليلٌ على مرضِ قلوبِهم

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الابتغاءُ والطّلبُ:

"الطَّلَبُ: مُحاولةُ وجدانِ الشَّيء، والطِّلبة: ما كان لك عندَ آخَر من حقٍّ تُطالِبهُ بهِ"[1]. فالطَّلب ابتغاءٌ مجرَّدٌ للحاجة دون قيد

اجتهادُهم في طلب الفِتْنةِ، تصويرٌ لسوءِ طباعِهم، وشنيعِ أفعالِهم

(1) الخليل، العين: (طلب).

الاجتهاد، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ [الكهف: 41].

أمَّا الابتغاءُ؛ فقد خُصَّ بالاجتهاد في الطَّلب، فيما كان خيرًا أو شرًّا، وقد تقدَّم أنَّه طلبُ تجاوزِ الاقتصاد فيما يُتحرَّى، تجاوزَه أم لم يتجاوزْهُ[1].

ومن خلال بيانِ الفروق يتبيَّن دقَّةُ اختيار لفظ الابتغاء؛ لكونه يتضمَّنُ الاجتهادَ في طلب الفِتْنة، ليناسبَ قديمَ فعلهم، وإصرارَهم بتقليب الأمور، وكرههم لمجيء الحقِّ، وظهور أمر الله تعالى.

الظُّهورُ، والبروزُ، والتَّجلِّي، الجهرُ:

الظُّهور: أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على انكشافٍ بقوّةٍ وبروزٍ[2]، ويُلمَح في الظُّهور صفاتُ التِّبيان، والغلبة، والعلوِّ، والشِّدَّة، والقوَّة، والقهر[3]، وقد يكون بِقصدٍ وَبِغير قصد، تَقول: استتر فلَانٌ ثمَّ ظهر، وَيدلُّ هَذَا على قصد للظُّهور، وَيُقَال: ظهرَ أَمرُ فلَانٍ، إِن لم يقْصد لذَلِك، وقد يدلُّ على الحدوث، كقَوْله تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، وَكَذَلِكَ قَوْلك: ظَهرت فِي وجهِهِ حُمرَةٌ، أَي: حدثت، وَلم يعنِ أَنَّهَا كَانَت فِيهِ، فظهرت[4].

ديـــنُ الـلـه الإســلامُ بـيِّنٌ عـالٍ، وغـالـبٌ قـــويٌّ، جعله الله ظاهرًا على كلِّ الأديان

والبروزُ: الظُّهور بعد الخفاءِ، والخروجُ، والبُدوُّ[5]، وهو: خلوصُ الشَّيء أو ظهورهُ ظهورًا قويًّا، أي: نفاذه من بين ما يكتنفُهُ بجَهدٍ وقوَّة: كما يخلصُ الذَّهب ممَّا هو شديدُ الامتزاج به[6].

والجَهْر: عُمُوم الإِظْهَار وَالْمُبَالغَة فِيهِ، ألا ترى أَنَّك إِذا كشفتَ

(1) الرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (بغي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظهر).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ظهر).
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 287.
(5) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (برز).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (برز).

الْأَمر للرَّجل وَالرَّجلَيْن قلتَ: أظهرْتَه لَهما، وَلَا تَقول: جهرْتُ بِهِ، إِلَّا إِذا أظهرتَهُ للْجَمَاعَة الْكَثِيرَة، فيزول الشَّكُّ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾، أَي: عيَانًا لَا شكَّ مَعَه، وَأَصله: رفْعُ الصَّوْت، يُقَال: جهر بِالْقِرَاءَةِ؛ إِذا رفع صَوته بهَا، ولذلك كان نقيضًا للهمس.

والبُدُوُّ: مَا يكون بِغَيْر قصد، تَقول: بدا الصُّبْح، وبدتِ الشَّمْس، وبدا لي فِي الشَّيء؛ لِأَنَّك لم تقصد للبدوِّ[1].

وعمومُ دلالة الظُّهور، واجتماعُ دلالات: التِّبيان، والغلبة، والعلوِّ، والشِّدَّةِ، والقوَّةِ، والقهر فيه فضلًا عن الحدوث يجعله أنسبَ لاصطفائه في مقام الحديث عن ظهور دين الله المتَّصف بتلكم الصِّفات.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 286.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»